المجنون

ديوان حجر النار

للشاعرة الإسبانية:

كلارا خانيس

ترجمة وتقديم:

د. طلعت شاهين

هذه الترجمة الكاملة لرواية:

Divan el opalo de fuego

للكاتب الإسباني:

Clara Janes

ينشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة الإسبانية

La presente edición ha sido traducida mediante una ayuda de la Dirección del Libro, Archivos y Bibliotecas del Ministerio de Cultura de España

المجنـون

ديوان حجر النار



المجنون

ديوان حجر النار

المؤلف :

كلارا خانيس

ترجمة :

د. طلعت شاهين

الطبعة الاولى:

1995

الطبعة الثانية:

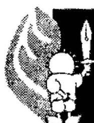
2008

رقم الإيداع

2008/5289

تصميم وتنفيذ الغلاف:

كامل جرافيك



سنابل للكتاب

٥ شارع صبري ابوعلم

باب اللوق. القاهرة

تليفون:

(+202) 2 393 56 56

(+202) 2 392 65 93

e-mail:

sanabooks@maktoob.com

www.sanabil.net

بالتعاون مع:



الإشراف العام

د. طلعت شاهين

sanabook@maktoob.com

تقديم

تعتبر الشاعرة الإسبانية "**كلارا خانيس**" من أبرز الأصوات الشعرية المعاصرة، ليس في إسبانيا، أو حتى في الدول الناطقة باللغة الإسبانية فحسب، بل في الشعر الأوروبي الغربي، وهي تنتمي إلى جيل الستينيات، الذي مهد للثورة الشبابية التي انفجرت في باريس في ربيع عام 1968، وشاركت فيها، تلك الثورة التي كانت نقطة تحول في الحضارة الأوروبية ولكن سرعان ما انتكست هذه المحاولة، لتسقط أوروبا في مستنقع الاستهلاكية المادية التي تطحنها الآن، ولا تترك لها مجالاً لترى أبعد من مكان قدميها، فذابت المثل العليا التي نادى بها هؤلاء الشباب، تحت وطأة عمى الألوان السياسي للزعامات الأوروبية، التي لا تزال ترى في الأمم الأخرى مشروع عبودية، والدول التي لا تنتمي إلى تلك القارة مشروع مستعمرات، ولكن بعض هؤلاء الشباب، المبدع منهم خاصة، حاولوا الإفلات من تلك القبضة القاسية، التي أمسكت بخناقهم، وكانت "**كلارا خانيس**" أحد الأصوات الشعرية الإسبانية، التي غادرت المادية القاتلة، التي تحتوي روح الغرب، لتبحر في عوالم النقاء والنور، واختار صوت هذه الشاعرة أن يبحر في اتجاه بعيد، بحثاً عن روح ثقافتها الأصيلة، التي تمتد بجذورها إلى الجذور العربية الأندلسية، التي شكلت ولا تزال تشكل روح الثقافة الإسبانية، منذ سقوط غرناطة وحتى هذه اللحظة، على الرغم من محاولات البعض إنكار ذلك، وفي هذا المجال تقف الشاعرة "**كلارا خانيس**" بصوتها، إلى جوار أصوات أخرى من مواطنيها المبدعين، تعلن عن تمسكها بتلك الجذور، وأيضاً تؤكد

تمسكها بهذا الإرث، خاصة في شِقه الروحي، الذي مزجه "**سان خوان دي لا كروث**" مبكراً بروح إسبانيا المسيحية، ثم أكد عليه عدد من كبار المبدعين المعاصرين، وعلى رأسهم الروائي "**خوان جويتيسولو**"، وإذا كان هذا الكاتب يعتبر "**محيي الدين بن عربي**" الأندلسي أستاذاً، وجذراً أصيلاً في تكوينه الثقافي، فإن "**كلارا خانيس**" تتجاوز ذلك، لتمر عبر صوفية "**بن عربي**" إلى الثقافة الإسلامية، بكل جذورها العربية وغير العربية، وبتراثها الروحي الصوفي، الذي يتجاوز المادية التي تعتصر الحياة الأوروبية المعاصرة، فتقتل كل حس إنساني، وتحكم عليه بالغربة والاغتراب حيث:

" **كل الصنابير تنزف**

الدواليب مليئة بالغبار

والملابس محكومة بالفوضى

وعندما تنفتح الأبواب

تلقي بأحشائها

التي تحرِّضُ على الطعن"

لذلك يقول عنها الشاعر والناقد الإسباني المعاصر "**كابايرو بونالدو**" أحد أبرز شعراء "**جيل ما بعد الحرب**"، إنها تنفرد عن أبناء جيل الستينيات في اللغة الإسبانية، الذي تنتمي إليه، بأنها من الذين يجب قراءتهم في عزلة وهدوء، لأن شعر "**كلارا خانيس**" يدعو إلى التأمل والتوحد والتركيز، فتركيز تعبيرها وحواراتها الدرامية الداخلية، تتطلب اقتراباً محسوباً، وتدرجاً في فهم رموز شعرها، التي

لا تنقاد إلى القاريء من الوهلة الأولى، ثم يصف شعرها بأنه مركب ومعقد، وعلى الرغم من أنها لا تحاول أن تتلاعب بالألفاظ كما يحلو للبعض للخروج على المألوف، بل هي تكتب شعراً مركباً في صوره وأفكاره.

وتصفها الشاعرة "**روسا تشاسيل**" بأنها من أبرع شاعرات الحب وأرقهن وأجملهن في التعبير عن المشاعر.

ويمكن وصف صوت "**كلارا خانيس**" في شعرها، بأنه صوت الخوف، لكنه الصوت الخائف المذعور من المادية القاتلة التي تسيطر على الحضارة الغربية المعاصرة، التي نشأت في أحضانها، لذلك فإن شعرها قفزة إلى عوالم جديدة، عوالم غريبة عن تلك الحضارة، ولكنها ليست غريبة عنها، كوريثة لتراث من الصوفية الروحانية سواء الإسلامي منه: "**جلال الدين الرومي**" و"**محيي الدين ابن عربي**" أو حتى "**عمر بن الفارض**"، أو المسيحي المتمثل في كتابات الذين اتخذوا من الروحانية الصوفية طريقة في الحياة والإبداع مثل "**سان خوان دي لا كروث**" و"**سانتا تيريسا دي أفيلا**"، واتخذت الشاعرة من هذه الروحانية، ملجأ لها، لتمارس منها حريتها المطلقة في الإبداع، حيث لا اعتراف بالقوانين الموضوعة على هذه الأرض، بل الحاكم الأوحد هي القوانين الخاصة بالشاعرة، وقوانين جذورها الثقافية، ومن هنا فإن الصور الفنية في إبداعها الشعري، لها خاصيتها الشخصية، التي قد تبدو منغلقة على القاريء الذي لا يعرف صوتها الشعري، أو ليست لديه معرفة حقيقية بهذا الشعر المتفرد في قاموسه اللغوي والتصويري.

شعر "**كلارا خانيس**" ينبع من الصفاء والشفافية، النابعين من معاناتها في تعاملها مع العالم الخارجي، الذي يدور في واقع حياتها اليومية، لذلك فإنها دائماً تمسك بين يديها بحقيقتها الخاصة، وتحاول

أن تتقدم بها وحيدة في مواجهة هذا الواقع، وأشعارها صور بالغة الكمال، مضفرة بالهواء:

"يصل شجر اللوز بزهوره إلى نافذتك

هارباً من أفكاري

ويُشعل

خجل الخوخ المعطر".

ومع ذلك فإنها تسافر في عوالمها المكتشفة، التي قادت نفسها إليها بعيداً عن الواقع المحيط بحياتها، وتشكل الميثولوجيا جزءاً أساسياً من عوالمها هذه، لكنها تسافر، أو تحج، وحيدة إلا من كلماتها التي تختبيء من خلفها كفارس يشق طريقه من خلف درعه الوحيدة:

"وعلى الصفحة البيضاء

انبعثت الكلمة

واتخذت شكلها الحي..."

وسفرها مبحرة في عوالمها الروحية المكتشفة، لم يكن مغامرة لغوية فحسب، بل كان مغامرة روحية مطلوبة لتتخلص من ما علق بها من الحياة اليومية المعاصرة، التي هددت حياتها بالتحول إلى "**شيء عادي**".

ومن أبرز إنجازاتها الشعرية كتابها "**وضاحات الغابة**" الذي كان نقطة التحول من الكلمة اللاموسيقية، والكلمة اللاغنائية، والكلمة المجردة:

" ... سمعت الحشائش تغني

في كل ربيع تنمو الحشائش

أنا أمكنني اكتشاف هذا

إنها أحصنة المجدلية التي تحرث الأرض

إنها المجدلية التي تزحف لتلقي بنفسها تحت قدمي يسوع

وأخيراً حين تلمسهما

في هذه اللحظة

تزهر الحدائق."

إن هذه الشاعرة ترى في الحب المستحيل، سبباً في قدوم الربيع، هذا الربيع الذي يتغذى على الحب، ويسبب استحالة لقاء الحبيب بالمحب، لقد كان هذا الكتاب، بداية للطريق الذي سلكته "**كلارا خانيس**" باتجاه الحب العذري، الذي قادها بالضرورة إلى الشعر العربي، ولكنها تعرفت على هذا الحب العذري من خلال الأصوات النورانية: "**جلال الدين الرومي**" و"**ابن الفارض**" و"**ابن عربي المرسي**" الأندلسي.

وكان الناقد الإسباني "**لويس دي بابلو**" قد تنبأ بمغامرتها الشعرية في تقديمه لكتابها "**كامبا Kampa** " فقال:

" •نني أعتقد أن هذا الكتاب الشعري، مقدمة لمغامرة شعرية جديدة، وأن هذه المغامرة الجديدة، ربما تقود إلى كتاب شعري جديد، أو كتاب من عدة أجزاء، ربما ثلاثة، كتاب شعري كاشف بشكل حقيقي، عن مرحلة جديدة، وهذه الشاعرة لها قدرة حقيقية على تفكيك الكلمات، وإعادة تركيبها، وتوجيهها إلى معان ربما تخفى علينا جميعاً، ولكنها تكون طوع بنانها."

والكتاب الذي نحتضنه بين أيدينا، عن أسطورة "**مجنون ليلى**" كان فصلاً جديداً، أو تلك المغامرة المجنونة في رحلة "**كلارا خانيس**" الطويلة مع الشعر إبداعاً وترجمة، فقد قدمت قبلــه خمــس عــشرة مجموعة شعرية، وخمس روايات، من بينها رواية "**رجل عدن**" التــي استوحتها خلال رحلة حقيقية، قامت بها إلى اليمن قبل أعوام قليلــة، بدعوة من جامعة صنعاء، ورئيسها في ذلك الوقت الــشاعر اليمنــي "**عبد العزيز المقالح**"، للمشاركة في لقاء شعري يضم شعراء عــرب وشعراء إسبان، وتسعة أعمال شعرية مترجمة من الأدب الأوروبي، إذ تجيد الشاعرة عدة لغات أوروبية، تقرأ بها وتترجم منها، إضــافة إلى عدد كبير من الدراسات الأدبية التي تتناول أعمال كبار الشعراء، الذين أثروا الحياة الأدبية والفكرية لجيلها.

وتعاملها مع هذه الأسطورة العذرية العربية لــ"**مجنون ليلــى**" جاء من منطلقها الخاص، المغاير لمنطق الحياة اليوميــة، بــل هــو مغاير حتى لمنطلقات معظم الذين تعاملوا مع هذه الرواية العذريــة، فهي من حيث كونها امرأة، لم تتخذ من ليلى صوتاً وقناعاً لها، كمــا كان متوقعاً من شاعرة غربية، قد تجد في صوت ليلــى شــيئاً مــن التغريب المغري، الذي يمكنه أن يقدمها إلى قــراء لغتهــا واللغــات الأوربية الأخرى، كنوع من التفرد بين شعراء جيلها، وإنمــا لبــست ثوب "**المجنون**"، لأنه العاشق والمحب الحقيقي، فــي رأيهــا، الــذي يستحق التمجيد، فلم يكن محباً أفناه الحب ورضي بما قدر له، بل كان روحاً متمردة على واقع محكوم بقوانين لا تعترف بالروح المحركــة لهذا الحب الصافي النقي:

"**رفض القيم**

الخروج على العار

وفي روحه تتوغل

جمرة متقدة..."

فحولته الشاعرة إلى شهيد، وتحولت معه إلى شهيدة لعشق أسمى من عشق البشر الأرضي:

والحب عريه، وغطاؤه

الجنون والسحر والمطلق والوعي..."

مالت الشاعرة بالأسطورة العربية نحو روحها القلقة، فأضفت على نفسها من روح "**المجنون**" المحب، ورسمت نفسها في روحه "**القلقة**"، وألقت به في تيه الصحراء، وسافرت معه في تجربة روحية عذبة ومعذبة، فكانت كتابتها الجديدة لهذه الرواية محفوفة بالعديد من المخاطر، لذلك حاولت أن تنبه إلى هذه المخاطر، خوفاً من اتهامها بالتغريب لمجرد تقديم ما لا يوجد في ثقافة جيلها المعاصرة:

"أيها الساقي، املأ الكأس

لأغني عن كامل السيرة

التي حازت الشهرة..."،

وإن كانت في هذا التنبيه تحاول إيهامنا بأنها سوف تقدم سيرة "**المجنون**" كاملة، أي كما يعرفها القارىء، وطبقا لما اتفقت عليها جميع الروايات، وبذلك يمكنها مسبقاً نفي اتهامها بالتجاوز، لكنها قررت وعن سبق إصرار أن تكون هذه الأسطورة أسطورتها

الخاصة، لذلك رأت في "**المجنون**" القصيدة نفسها، ورأت في ""**ليلى/المحبوبة**" مجرد كائن سلبي، تسر بأسرارها للشمعة، وتسألها عن لون حداد الدخان المتلاشي، الذي يزاحم قلب المجنون، وتناجي الفراشة الليلية وتسألها عن النبض الخفي، أو تطلب من السحابة أن تبتعد بمطرها ليزداد لهيب المحب ولهيب قلبها، ولتتحد معه وبسلبية عن بعد في شعلة واحدة:

"وللسحابة التي تمتص تنهداتنا

أتضرع إليها أن تبتعد عن المطر

وتحول بقايا ليهيبنا إلى نار متقدة

في شعلة واحدة."

لكن لا المحب يصل حبيبته، ولا الحبيبة تتمرد على قيود القبيلة، ولا يبقى لـ"**المجنون**" سوى أن يناجي جبل "**التوباد**" الذي استبدلته الشاعرة هنا بجبال النعمان:

" ... يا جبال النعمان

التي تحتضن قبائلنا

دعي الرياح تأتينا

بأصداء أصواتها..."

فيبقى المجنون أسير "**الحب/القصيدة**"، يروي عطشه من ماء يفتقده ولا يراه إلا:

".. في نبع الطيف الذي لا يجف"

ويعيش زاهداً في كل شيء، ولا يرغب إلا في رسم وجه الحبيبة "**ليلى**" على رمال متحركة سرعان ما تأتي الرياح لتذروها

فتضيع تاركة إياه في متاهته:

"سوف أعيش من اللاشيء

وبخطوط كفي

أرسم وجهها

في الرمال."

ويبقى المجنون طريداً في الفلا تحرسه الوحوش والغزلان، معانقاً اللاشيء، ومتقلباً على سرير من نار:

"فلا المدى المظلم

ولا ضوء النجوم الفاتر

يمكنه أن يطفيء الروح المضيئة..."

ويظل يواصل الحياة على ذكريات تغذي روحه وتبقيه على قيد الحياة، إن هذه الصورة تكاد تعكس حياة الشاعرة، التي ترفض أيضاً قيم عالمها المادي، وتحاول أن تطابقها مع حياة "**المجنون**"، فكل أشعارها السابقة على كتابتها لأسطورة "**المجنون**"، تغلفها هذه الرؤية الرافضة للواقع المادي، المتغلغل في ماديته، بحثاً عن عالم أسمى من الحب الصافي النقي، لذلك فإنها عثرت هذا **الواقع/ الحلم** في هذه الأسطورة العذرية العربية، فـ:

"ليس سرابا ذلك الجمال

الذي يحفظ الحب في الصحراء..."

فيما تحاول "**ليلى**" أن تبذر حبها في الأرض الخراب، زهرة يقطفها "**المجنون**"، فإن "**المجنون**" أو الشاعرة هنا، لديها إصرار على الإبقاء على صورة الحبيب القديمة، رافضة محاولات الحبيبة في

الاقتراب، فتقول على لسان "**المجنـــون**" الـــذي هـــو صـــوتها فـــي الأسطورة:

"... **ابتعدي أيتها المحبوبة،**

لا تصرفي

الصورة التي أحفظها لك..."

ويظل يجول المجنون الليل مستحضراً وجه الحبيبة، حتى في بقايا ظلال يراها آملاً في الوصول إليها عبر الأحلام:

"... **آه، من اسم الحبيبة**

الذي يسبح في الأثير

ويسمح لي أن أصل إلى حلمها."

ويظل "**المجنون**" محباً وعاشقاً، فيما لا تحرك الحبيبة ســاكناً، سوى مواساته، بأبيات تكتبها، وتقدمها لـــه كزهـــرة، وتطلـــب مـــن "**المجنون**" أن يقطفها:

"**عشقي المجنون ينفذ**

في الأرض الخراب

يبذر فيها الزهرة

التي تحيا لحظة خاطفة

اقطفها يا مجنون."

وتظل "**ليلى**" في ترددها بين التمرد والبحـــث عـــن الحبيـــب، والخضوع لقوانين القبيلة، حتى تغلبها ســلبيتها فتتـــزوج، ويمـــوت الزوج، لكن بعد أن كانت القبيلة قد دجنتها، وتظل مخدوعة بـــشعرها

عن الوفاء حتى لحظاتها الأخيرة، حين تكتشف ضياع حياتها الحقيقية، فتعترف بأن الحب هو الطريق الوحيد إلى عالم آخر سوف تدخله وحيدة، ولأنها تخشى فيه وحدتها، فإنها تندم، وتطلب من الحجر المشتعل الذي هو القلب، أن يقودها عبر بوابة البرق، لتدخل الأبيض اللانهائي في انتظار أن يلحق بها الحبيب:

"أنت أيتها الجنة- القلب

الرمانة الساكنة

الحجر المشتعل

إلى بوابة البرق

تقودني... وأدخل

كطائر

في الأبيض اللانهائي".

بعد موت المحبوبة لا يجد "**المجنون**" سوى الموت، طريقاً للقائها، والإتحاد معها في مكان واحد، بعد أن خذلته الحبيبة حية في تمرده ضد قوانين القبيلة، فيقول قصيدة النهاية، ويتحول إلى تراب في قبر "**ليلى**":

" تراب في التراب هي ليلى

وفي اللاشيء يضيع بهاؤها

أن أكون لاشيء في اللاشيء

هو مرادي

فطريق الموت

يوحدنا في العوالم الخفية".

وتستمر الأسطورة بين "**مجنون ليلى**" و"**مجنون كلارا خانيس**"، فهي تضفر أسطورتها الخاصة، معتمدة على نصوص متعددة، حتى تتمكن من التجول في هذه الأسطورة بحرية، وتضع عليها بصماتها الخاصة، لذلك فإن القارئ يجد من التطابق والاختلاف، ما قد يحيره، إلا أن "**كلارا خانيس**" في أسطورة مجنونها، تعتمد على أن التواصل هنا، هو تواصل بينها وبين قارئ تنظر منه أن يتقبل منها نسجها الخاص، ففي النهاية لن تكون هذه الرواية الجديدة لأسطورة "**مجنون ليلى**"، سوى رواية خاصة جداً بالشاعرة، تعكس من خلالها رؤيتها لعالم متكامل، كانت تسود لو عاشته بكل ما فيه من مأساوية، لأنها تعيش مأساوية أشد وأعظم، مأساوية إنكار روحانية الحب العذري، في عالمنا المعاصر.

د. طلعت شاهين

كلمات أولية

هامش

لمحتُ حجرَ النارِ
وقتَ الغسقْ
كسحابةٍ مضيئةٍ،
تهيمُ على الخمارِ السريِّ،
وقد ملأتْ الفلا بأقواسِ قُزَحْ:
كانت كشظايا حكايةٍ
يحرسُها اسمُ الليل،
وسكنتْ القصيدةَ في
صمتِ الأسطورة.

الأعذار و الأسباب التي كانت وراء هذا الكتاب

أنتَ لا تعيشُ في حياتِكْ،
و لا في الأزمنةِ التي تمضي،
إنهم يتساءلونَ،
أين تعيش؟
فتجيبُ: في العشقْ.

تحوَّلتْ شرايِيني إلى وديانٍ من المرايا،
تمنحُ هذه الأسطورةَ مجراها،
أسطورة شابينِ
عثر كلٌّ منهما على الآخر،
بعد سفرٍ طويلٍ،
تداخلا، و صار كلٌّ منهما الآخرَ،
وبقيا في سكونِ هذا الحالْ،
المحبوبُ لا يسكن الفلا
بل في عمق الأحلامْ.

الفصل الأول

الطفولة

قصيدة تأخذ مكانها في المقدمة

لأنها كرست جهودها لمن تلقى هذه الأشعار

مزَّق الصمتَ طائرٌ،

أشعل التَوُهجَ كحجرٍ من نارٍ،

وامتلأتْ يداي من أجلكَ بلهبٍ تنيِّني،

أُسميِّكَ قيساً،

وأؤكدُ أنكَ أحببتَني في طفولتِكَ،

كما أحببتُكَ أنا،

قبل أن تلقي غيمةٌ

بظلِّها العبوسِ عليكَ،

ألهثُ بإتجاهِ تلك اللحظةِ

وألحقُ ببئرِ الفرَحْ.

يفتش الشاعر عن الشفافية

أيتها المحبوبةُ،

انزعي عنكِ الخمارَ،

ودعي الأزهارَ

تُشرق بكمالها،

وأيقظي الندَى

في أعضائي النائمةْ.

إن شفتيْ الحبِّ

كأسٌ،

ترنو إلى إمتصاصِ الشفافيةِ

والارتواء بها.

كيف يبحث المجنون عن عشقه

أُحبُّ ليلى !

الطفلةُ الأجملْ

بين بناتِ القبيلة !

حديثها لا ينطقُ

سوى الفرحْ،

إنها تُشبه ألوانَ حريرِ اليمنْ،

وحين تبتسمُ

تخطفُ بصري بلآلىءِ عدنْ،

وحاجباها قوسُ اشتياقي،

عيناها مُعَبَّقتان بالدنانيرِ،

إنها كنزُ أحلامي

الخفيّ.

حيث يقص فصلاً مما حدث في المدرسة

دخلا في أحضان الأيكِ،
وأوراقِ الأشجارِ،
يضيئهما شعاعُ شمسٍ
كالمرايا،
فيرسمُ على وجهيهما علاماتٍ سريةْ،
محاصران يبتسمان في صمتٍ،
بعدها، منحمهما النسيمُ صوتاً نباتياً
وتبادلا النظراتِ العميقةَ
وغرقا في حديثٍ بلا معنى.
لم يسمعا ناقوس
نهايةِ ساعةِ السمرْ.

***

لمسَ المجنونُ ذراعَ ليلى بسبابتِهِ
وهمسَ صامتاً:
يدُها المعتمدةُ على الفروعِ،
طائرٌ أبيضُ
لا يداخله الخوفْ.

قصيدة كتبها المجنون مدعياً الخطأ

لتصحح له ليلى ما أرتكبه

تذكَّري أيتها الأوراقُ، أن هذه الحكايةَ التي تضمينها
على أفقكِ الناصعِ،
كنت أنت شاهدها الأول،
تذكَّري الرسومَ،
تذكَّري يديها تتحسَّسانِ سطحَكِ،
تذكَّري أنه في تعاريجِ الخطوطِ
الحادة،
نامت تعرُجاتُ حروفها،
التي تتجمَّع في موجاتِ تهجِّي
العشقْ.

الفصل الثاني

منبت الورد

صورة شخصية للبطل

عارياً يدخلُ المجنونُ
حديقةَ الأزهارِ،
وفي روحه تتوغَّلُ
جمرةٌ متقدةٌ،
حيث لا وجه للجنةِ
سوى وجهِ ليلى.
وجسدُها كلمةُ عشقْ،
الحبُّ عُريه، وغطاؤه
الجنونُ والسحرُ، والمطلَقُ، والوَعيْ.

قصيدة اللقاء

التقتْ عيونُهما
وانهارتْ في اللحظةِ ذاتِها،
وأصابَ الخَرَسُ صوتَ البلبلِ
الذي كان يجذبُ أنفاسهما،
وضاقت بهما الأشجارُ.
وأصابتِ المجنونَ غابةُ العطشْ،
ورسم ملامحَه على وجهِ ليلى،
فلم يُفْلحِ الماءُ
ولا الشَذَى:
أفقٌ حارقٌ
مَحَا شعاعَ النهارِ عن الأزَهارِ،
وسكنَ ذاكرتَها.

عن كيف غادرت ليلى تلك الحديقة

جمعتْ الزهورَ المتناثرة،
ثم تكورتْ خلفَ النافذة،
وحين أطلَ القمر،
بلسماً من الظلال،
نطقتْ بتلك الكلمات:
"ليلٌ أنا،
جذورُ الألم
مغروسةٌ في الهواء الذي أستنشقه،
آه، صديقي الذي يشعُ،
ضيفَ الكهرمان!
أنا أيضاً،
أتدثرُ بالعتمةِ،
وفيها أعيشُ،
ولا يستطيع
غير أسرار العناصر الأربعة،
أن يفتحَ في سوادِها
طاقة من نور."

المجنون يتأمل العناصر الخاصة للاحتفال بالعام الجديد، بعد شفائه، بعيدا عن ليلى

تضيعُ الدنانيرُ في الحشائشْ،
النبيذُ العلقمُ، السماق،
طرْح الزيتونِ البريّ،
يتلاشى العقيقُ والتفاحُ،
وريحٌ حارقةٌ
تعصفُ بضوءِ الشموعِ،
وتُعتم المرايا،
وتُفسد بذرَ القمحِ،
فلا الثومُ ينمو،
ولا الأسماكُ تسبحُ في الماءِ الصافي،
هي الرقمُ السابعُ بلا نيروزٍ،
بلا عينين،
يتيمة،
أرضٌ لا تعرفُ ميلادَ الحقولْ،
لا تعرفُ انبثاقَ الزهورِ في نهديها،
نسيمها مستحيلْ.

الفصل الثالث

المجنون

الشاعر يعترف بصعوبة هدفه

أيها الساقي، املأ الكأسَ،
لأغني عن كاملِ السيرةِ
التي حازت الشهرة:
العذريةُ،
رفضً القيمْ،
الخروجُ على العارْ،
الاستسلامُ الكاملُ للعشق،
حتى الجنونْ،
حتى الضياعْ
في تيه صحراء نجد،
الممتدةِ بلا نهايةْ.

ما قاله المجنون بعد أن أمضى الليل ساهراً أمام بيت الحبيبة

أُقَبِلُ الأرضَ التي داستها قدماكِ،
أُقَبِلُ آثاركِ
التي أتعرفها، ليلاي الجميلة.
وحين يهتفونُ: "انظروا المجنونْ"،
أصرخُ أنا، وكما ينطلقُ،
يخترقُ صوتي السحر،
ليصلَ أحلامِكِ،
فصدى الظلالِ
لم ينمْ في صدري،
وعبثاً تحسَّسُ
شفاه الظلامِ المبللةْ.

ابتهال

أنظري، أيتها الروحُ المتجهةُ
إلى مدينةِ الحبِّ المقدَّسْ،
المسي الحجرَ المتَّقدْ
وادخلي النبيذَ المعتَّقَ،
وانعكاس الضوءِ الأبديِّ،
وفي البحرِ المجهولْ،
فإن المادَّةَ تفنى
حتى لا يبقى
سوى الجنونْ.

الرفيقات يحاولن التخفيف عن ليلى

حين حرَّم أبوها عليها الهوى

تأملي الرقصَ يا ليلى، يا رفيقةَ الصِّبا،
استمعي إلى دقّاتِ الدُّفّ،
نحيب الناي الحلوِ،
وانتظري لحظةَ انطلاق البخورِ،
الذي يأخذُ هدجاتك في سحاباتِهِ،
وحين تلمسُ يداك زهورَ الياسمين،
تذكّري الهوى، وأنسي الذكرياتِ،
فالنهرُ بين قدميكِ
يفتحُ المساقي الخبيئةَ
في حديقةِ الأسرارْ.

عندما انطلق المجنون إلى الصحراء

يحترقُ المجنونُ بالعشقْ،
فتسيلُ الصحراءُ بالينابيع.
تبني الطيورُ أعشاشّها في خصلاتِهِ
وتتبعهُ الوحوشُ،
تحرسُ معبَدهُ، لحماً حياً،
وقلبُه، حجرٌ من نارْ.

الفصل الرابع

الفراق

يدافع الشاعرُ عن انتصارِ الحب على الصعاب

تُسمعُ الآنَ أجراسَ الرحيلْ،
يتوازنُ الفرحُ
على خيطِ الفراغِ،
يؤكدُ الفرحُ ديمومته،
كم حاول الفراغُ الفِراق،
هزيمة الزمنِ
بضوئِه الوحيدْ،
هل هو التوازنُ أم الموسيقى،
الذي يلمعُ
في نقطةِ الالتقاء
التي لا تنتهي.

صوت العاشق في العتمة

لو أتجاهلُ صوتي، أمزِّقُ ثوبي

وأحلمُ بالشهادةِ،

فلا توبخني، أيها العاذلُ،

يكفيني جديلتها

لتسترَني :

تُذيعُ شهرتَي

صوفياً وفاحشاً،

وتسكنُ عيناها

عُشَّ قلبي .

المجنون يناجي الجبل الذي يحسبه رفيقاً فيجيبه الصدى

الجبلُ والصدى يتحاورانِ
مع آلامي،
آهٍ، أيها الصديقُ الوفيّْ!
فلنَجمعْ شفاهنا
على الحجرِ الصلِ!
الذيِ يرقُب في الهواء
وخذَ الألمْ،
يا لَصُعُوَبةِ ساعةِ
زمنِ الصحراء،
ويا لَصُعُوبةِ الابتعادِ عن نجدٍ،
حين يعَبِّقُ الزهرُ
الرياحَ،
وتسمعُ القطعانَ
ترعى في الوديانْ.

هنا يعلن موقفه في مواجهة الاتهامات

التي يوجهها البعض إليه

عارياً،

لا يحتملُ حزني

حتى الهواء الهفّافْ،

هارباً من الدنيا،

فلا أجدُ مواسياً لهمومي

سوى الوحوشِ،

في الصرخةِ

يفتحُ الصوتُ صوراً

يحتمي فيها أَلَمِي.

مشتعلاً،

يا لاحتراق رغبةِ حبيبتي،

ويا لاحتراق الرغبةِ في ألمي.

الفصل الخامس

حياة في الصحراء

عن كيف أطلق المجنون غزالات أسيرة ليصبحن رفيقاته

حين كان الصقرُ يحوِّمُ
في أعالي الجبالِ،
يراقبُ حظَّه،
أطلقَ المجنونُ غزالاتٍ
وقعن في شَرَكِ الصيَّادْ.
حملت الريحُ صدى بكاءها
وكانت كلماتُ واحدةٍ منها
همهمَ في أذنيها: أنتِ رفيقةٌ
وللكِ عينا محبوبتي،
سَلِيني عن ظِلٍّ ليلى
بشمسِ وَجهكِ الذهبِّيةْ.

ليلى تلقي بسرها لشمعة وفراشة ليلية وسحابة

إلى شمعةٍ تتمايلُ،

أتساءل عن لونِ

حدادِ الدخانِ المتلاشي.

محترقاً في دموعٍ من شمعٍ،

لا تزالُ تنبضُ بالحياة،

وتزاحِمُ

قلبَ المجنونْ.

***

أسألُ الفراشةَ التي تقتربُ

عن النبضِ الخفيِّ.

فتفردُ الأجنحةَ وتَهَبُ نفسَها إليها،

وترسمُ قلبي

في الفضاءْ.

***

وللسحابةِ التي تمتصُّ تنهداتِنَا
أتضرَّعُ إليها أن تبتعدَ عن المطرِ
وتحوِّلَ بقايا لهيبنا إلى نارٍ متقدةٍ
في شعلةٍ واحدةْ،
نجمٍ خالدٍ،
يكونُ سِرَّ حبنا.

***

أنا، المجنونُ، صوتُ ليلى،
الملتفُّ بالصخبِ، الذي يشفُّ،
من جسدٍ إلى جسدٍ
فتراه عيناكِ.

من الأشياء التي يقولها العاشقُ عندما يسمع اسم ليلى، أبيات شعرية تنتشر في أركان الأرض الأربعة

هرب طائرٌ من القلبِ
عندما سمع اسمَها،
وهرب جسدي كلُّه
حتى آخر الأفرعْ.

يا جبالَ النعمان
التي تحتضن قبائلنا،
دعي الرياح تأتينا
بأصداءِ أصواتها.
في أعالي الأشجارِ
سوف أسكنُ.
لأرقبَ ظلالها
وأنسى ظِلِّي.

من المجنون لزائر خفَّ لسماعه

انزلْ عن ناقتِكَ،
لا تخفْ الأسود:
النارُ تخيفهم،
والصمتُ
المنتشرُ بين الكثبانِ
طريقٌ يقودُ
من منتصفك حتى اللانهائيِّ،
لا تلحقُ به الوحوشُ
ولا ظلالُ السحابْ.
لا تحنِ الرأسَ
على سحابةٍ،
دعِ النسيمَ
يسكنُ بصركَ،
وسوف ترى مائةَ وريقةٍ
من زهرةِ العشق،
وألفَ وجهٍ
للشفافيةْ.

ما قالته ليلى لنفسها متنبئة بحوادث المستقبل

حين يأتي الجحيمُ
يكون السقوطُ رهيفاً،
والريشُ يحفُّني.
يُغلقُ عينيَّ
تحويمُ طائرٍ،
لأفتحهما
على بياضِ المعجزةِ الأبديّْ،
ينتشرُ جسدي
متحولاً في الهواءِ
ليصبحَ غذاءً أبدياً
يشِفُّ على شفتيهْ.

عزلة الليل

الرياحُ تسوطُ الجبالَ الخاليةْ،
ينهمرُ الشوقُ
على جسدي الساهرِ،
ساقطاً من القبةِ الثلجيةْ.
تغمرني رغبةٌ في تلك الليلةِ
البيضاءِ القدسيةْ.
تنفجرُ صخرةٌ.
يتحوّلُ لحمي ليصبحَ جرحَ عشقٍ،
لا يعرفه البلسمُ،
ولا الشذى السريُّ يخففُ عنه،
فيظل كعنبرٍ هاربٍ، من الأيْك.

يحول المجنون عينيه عن حقيقة مشاعره، وعطشه الذي لا يرويه النبع

ابحثوا عن الماءِ
خلفَ الجبالْ،
بعيداً عن الخيامْ،
بعيداً عن نيرانِ المضاربْ،
بعيداً عن الرمالِ وكرمِ النخيلْ،
قريباً من آخرِ العَلاماتِ،
حيثُ تضيعُ أقدامُ الروحِ العاريةِ
باتجاهِ عمقِ المدى.
ابحثوا عن الماءِ
في نبعِ الخيالِ اللانهائيِّ
الذي ينبتُ في ذلك البئرِ الخفيِّ
معانقاً كل الأشكالْ.

الفصل السادس

المجنون يستسلم للشعر

الشاعر يمتدح الصداقة التي اخترقت الصحراء ووضعت في خدمة المجنون رجالاً وأموالاً لتشفيه من جنونه بليلى

أشربُ في نخبِ نوفلَ،
الذي حطّمَ الجدرانَ الوحشيةَ التي
أقامها المجنونُ بينه والدنيا،
وحطمَ النُظُمَ الوحشيةَ التي تحُيط به،
يغذيه، يسرّحه،
ويكسوه بالذهبِ والديباجِ،
ويرافقه على طَريق الحبيبةِ.

قال:
"لو كنتُ طائراً،
لو كنتُ شظيةَ صوانٍ خبيءٍ،
سوف أعثرُ على ليلى من أجلك".

آهٍ أيها القدرُ القاسي،
إن القلبَ السجينَ
يحتضنُ الهزيمةَ نصراً !

تائه في الصحراء من جديد،
يستسلم المجنون لقصائده

يقولون أن السماءَ
تحوَّلتْ بحراً
في بلادِ اليمنْ،
وإنَ الوادي الأخضرَ
ليس إلا قشرةَ ماءٍ،
وإن الرجالَ والقطعانَ
يهربون إلى أوكاره،
برغم إشراقِهِ
معلناً حصاداً وفيراً.
هنا، في قلبي،
يلمعُ نجمٌ
يُعلنُ تحولاً،
رياحُ الروحِ الموسميةُ
تنقلبُ قصيدةْ.

هنا يؤكد على نفس المعنى

جسدي قصائِدي،
غيرُها ليس لي
لكنه أبداً لن يكونَ صوتي،
المشاهدُ التي أضمُها من مجراه،
الشذى والأنهارُ
التي أتبعُ طريقها، زجاجيةٌ،
وأنا ذاتي
أسيرُ على الطريق،
رنين الخلاخيل
التي يطلقها الريح
في مياهِ المرايا المرسلةْ.
مسافرٌ أنا
فقدَ عقلَه
يرفضُ أن يُسلِم زمامَه القلبُ.
سوف أصلُ إلى تلك الجنةْ،

إلى تلك الزهرةِ الإنسيةِ التي هي لِيلى،

حتى تلك النهايةِ النورانيةِ

سوف أصلْ،

أسيرةٌ الآن

في الزئبقِ السابعِ،

في الطبقةِ الثامنةِ

حيث تجري عروقي.

عن والد المجنون،

الذي خرج بحثا عنه ليعيده إلى رشده

يتقدَّمُ في الصحراء،

تمرُّ أيامٌ وليالٍ بلا نهاية،

كل شيءٍ بطيءٍ

-ما يراه في النورِ مجرى

يراه في الليل محارباً من ضبابْ-

حتّى يرى على البُعْدِ

بريقاً

يشعُ في قلبهِ الطمأنينة:

إنه لهيبُ قلبِ المجنونِ

يشعُّ من صدرهِ،

عابراً الأفقْ.

ما قاله الفتى لأبيه رافضا أن يتبعه

أنا لستُ مَنْ كنتُ.

إن لهيباً حيّاً

يأكلُ جسدي،

يخنقُ الروحَ

ولم يبقَ منى ولا حتى الخيالْ،

مجردُ صوتٍ يُحْتَضَرْ

يهيمُ في حضرةِ حروفٍ أربعةٍ

تقولُ في إتِّحادها

أسمَ الليلْ.

تأملات المجنون

بعد أن بقي وحيدا مع الوحوش

سوف أعيشُ من اللاشيء،

من خطوطِ كفي

أرسمُ وجهَها

في الرمال،

وسرعان ما تمحوه الريحُ

ويترك اللاشيء.

من الأشعارِ،

التي تتشكَّلُ،

كثباناً وديعةً،

تنتزعُ شفتي

وتمحو الصحراءَ،

في الفضاءِ،

وتصبحُ لاشيء،

من مداعباتِ هذه الحيواناتِ

التي يمرُّ حبها الأخرسُ

بلا أثرٍ في الروحِ

يساوي لاشيء،

ومن نفس الجحيمِ

من الأفق الأعمى

الذي أستسلمُ له

لأعانقَ اللاشيءْ.

كان القلب وردة للرياح

ذلك التوبادُ

حيث نخبِّيءُ القطعانَ،

نجمةً، علامةَ الطريق

والعصافيرُ الليليةُ تغطِّيه

بشبكةٍ،

بعزفٍ من الأنغامْ،

ذلك التوبادُ،

الذي كان أفقُه الناصعُ

حمى طفولتنا،

يقولون لي أنها بعيدةٌ،

في أرض الشامْ

أو في اليمنِ السعيدْ

التي عبرتُها باحثاً عنها،

بعيدةٌ هي، وأنا أُحْتَضَرْ،

وأرى الأفقَ

خيالاً غائباً،

ويتلاشى القنديلُ السماويُّ

في الضبابِ،

مخبئاً

طريقَ الفرحِ،

والفيروزةُ التي تلمعُ

في خاتم الرب.

الفصل السابع

أعراس ليلي

عندما تعلم أن أباها وعد بها ابن سلام، ليلى تخفي شهيقها وبكاءها

لا شاهد على جزعي،
وأزرارِ قميصي الحمراء
وشالي القرمزي
تمسحُ دموعي الدموية،
واليواقيتَ الزرقاءَ التي صبغتْ جبهتي
تمحو الجنون،
وفي كعبي
ترنُّ الخلاخيل
علها تنسيني إشتياقي،
كما لو كانت ألفَ شمسٍ
كالثريا في عمق الماءْ،
فيُعَتِّم أفراحي.

ينتشرُ في أعضائي
موتٌ بعمق الصحراء،
التي تبدو حدودُها
بحدودِ ساعاتِ النهارْ.

عن كيف استقبل العائش مع الوحوش

خبر عرس حبيبته

تزوَّجَتْ ليلى

والمجنونُ ينفتحُ على الألمْ.

في أرضِ صدرهِ السوداءِ

تنمو أشجارُ الحزنِ

وباحتراقِهِ ودموعِهِ

تمتليءُ الأوراقْ.

ليلى، في بيت الزوجية، تتخيل المجنون وتحدثه عن نفسها

أعيشُ في الغيابَ
وأصطادُ به
جمالَ حبيبي.
أسمعُ صوتَه
في صفيرِ الريحِ،
تصل إليَّ أصابعَه
في أوراقِ الزيتونِ
التي تداعبُني حين تمرُّ بي،
طزاجةُ شفتاه
قطراتُ مطرٍ
تسقيني بكأسِها،
الكل يقصُّ عليَّ أخباره،
الفجرُ يُوقظني بعصافيرهِ،
وحين يخيِّمُ الليلُ يُغلْقُ عيني
حين يسحبُ نورَه
بأيدي الظلالِ المُعْتِمَةْ.

ما كانت تراه ليلى أمام عينيها دائماً

سرابٌ لا ينتهي
حيث أرى الصحراءَ
تشتعلِ،
تشتعلُ في نيرانِ العشق
التي تختلط
بالغسَق،
وبوابةِ أفق
الأحلامْ.
وبعد ذلك تحترِقُ الرمالُ
وتصبحُ سريراً مِن نارٍ،
يطمعُ فيه الشوق
لينتهي فيه.
فلا المدى المظلمُ
ولا ضوءً النجومِ الفاترِ،
يمكنه أن يُطفيءَ الروحَ المضيئةَ،
ولا المطرُ المفاجيءُ
الذي يفتحُ الجداول
في الصخرِ الساخنِ
يمكنهُ مواجهة
الروحْ.

لوم العاشق لصديقه الذي ذهب لزيارته
وحاول تبرير أفعالها

عملتانِ مُزَيَّفتَانِ
عملتانِ مزيفتانِ تتبارزانِ بمرارةٍ:
الفراق والانتظارْ،
وأنا، مَنْ محوت الزمنَ،
وأنفي وجودَ البعدِ،
أنا، من محوت الزمنَ،
أرفضُ إمكانيةَ وجودِ حدثٍ آخرْ،
أعيش في يأسٍ
الجحيمُ الكاملُ،
وفي كاملِ اللذةِ
لرؤيةِ ما ليس سراباً:
أينما أرصدُ وجهَ الحبِ.
ليس هنا غيرُ ليلي
حتى لو ماتت كل الغزالات
ليلى تظل هنا،
في هذا النسيمِ العذبِ
الذي هو لذتي.

المجنون يتأمل السماء المتلألئة

آهٍ يا راعي الليلْ،
قل، ماذا تعرفُ
عن الأشعةِ الأولى
المضفرةِ بالسحرْ،
إلى أين يَذهبُ القمرُ
حين يسيلُ
في بياض النهارْ؟
ماذا تعرفُ عن النجومِ الشماليةِ
التي تنسجُ أكاليلَ الغارِ
لتحيطَ بها أحلامُ الحبيبةَ؟
أيها الأكاسيو
يا من تعبر المسافاتِ الضبابيةَ
كشعاعٍ دقيقٍ،
أبراجُ البجعِ
التي تحتوي المدى بأجنِحتِها المفتوحةِ

من طرفٍ إلى طرفْ،

والقبةَ السماوية

في ساعاتِ الصيفِ العَليا؟

آهٍ يا راعي الليلْ،

أنا هناك

مختبيءٌ في هذا الفلكِ

اللامعِ بأحجارهِ الثريةِ،

قل لي إنَ النهارَ يأتي،

إن ساعةَ سحري مقبلةٌ،

كم صبري نافذٌ

لأكونَ نقطةَ ندى

على جبينِ ليلى،

السحرَ في جفونِها.

الفصل الثامن

المصفد بالسلاسل

هنا تُعَبِرُ ليلى عن تفهمها للأخبار الجديدة التي تأتي من الصحراء

تلك الغزالةُ التي تهمسُ إليكَ، يا مجنونْ،
وذلك النمرْ الأرقطُ
الذي يحرسُ فضاءَكَ
وذلك الثعلبُ الذي يناديكَ
وينزلِقونَ من حولكَ
يحددونَ تخومَ جنونِكَ،
يتكلمونَ في داخلي،
ويسكنونَ فراغي الداخلي،
ويحرسونَ هذياني.

ما حدث عندما طوق المجنون نفسه بسلاسل العبيد واقترب من مضارب ليلى متخفيا في زي الصعاليك

تخرجُ الصبيةُ من أكثر الخيامِ ثراءً،
والمجنونُ مصفدٌ بالسلاسلْ،
يقبّلُ الأرضَ بين قدميها،
وشهقتُه،
تقصمُ السماءَ نصفين،
شرخٌ يولدُ في الجسدِ الحيّْ،
أرضٌ أم جسدُ عشقْ،
يصرخُ:
هي كل شيءٍ،
أنا لا شيءْ.
أنا أنمحِي.

ليلى تنظر إلى ذلك الصعلوك
الذي لم يكن سوى المجنون

تَحتَ العمامةِ
عينانِ،
كتمرتين تهبانِ
وتطلبانِ الحياةْ.
فلا الموسيقى ولا الرقصُ
يوقفان الصفقةَ المستحيلةْ.
أحفظُ ذلك المشهدَ في قلبي.
كرمٌ من النخيلِ يسكنني
يحومُ في أحضانٍ خضراءْ.

قصيدة وحشة

وعزيمة المجنون عند المغادرة

سوف أتعلَّقُ بدوارِ

الحبِّ الأعمى

وأحتمي به .

لا أريدُ أن أُديرَ الوجهَ

وأتوسلَ نظرةٍ.

أشبعُ نهمي من نبعِ الأسرارِ

حتى لا تتنبأ

بطريقي المنزلق

باتجاهِ اللاشيءْ.

عند الوصول إلى تخوم مضاربها،

يقول المجنون هذا الغزل

وجهُها
هو جانبُ القصيدةِ الخفيْ،
هواءٌ في الهواء،
لآلىءُ،
خفاءٌ من الخفاء، علنٌ.
كفتُها تشعلُ
تاجاً من الزهورِ،
تحيي رحيقَها:
نارٌ في النارِ.
هدى صوتي،
أنحني
وأُخطِيءُ
اشتياقَها الهاديْ،
بتواضعِ الرمالِ المتحرقةْ.

رؤى ليلى

قدِّمْ لي كأساً من البخور،
وعبرَ الدخانِ
رأيتُ مشهداً من حِمَمٍ كدرةْ.
جاءني طالباً أن يَروْيِ ظمأه،
لكن ليلَ عينيه
كان يلفّني فأخمدُ الجدب،
شفافيةُ عتمتِه
أنامتني،
يوماً كاملاً بين كفْيه.
نمتُ على شفتي كلمة
توحدت بكلمتهِ.
إنها نجمةٌ مرتحلةٌ
تمخرُ عبابَ اللاشيء إلى الأبدْ.

الفصل التاسع

الليل

قصيدة الانتظار الطويل

كلامُكَ الضوءُ الوحيدُ

الذي يخترقُ العزلةَ القاتلَةْ،

بها أداري الأحلامْ.

تكفيني قصيدةٌ واحدةٌ

لأعرفَ أنكَ قيسٌ،

مصفدي الجميلُ

الذي يدَّعي الجنونَ،

ويُحيطُ روحِي

بسلاسلَ خانقةٍ،

فأُحادِثُ الصخورَ

وأضيِّقَ من حولي دائرةَ الصمتْ.

حين يرى القبة السماوية سجينة الظلال،
يستحضر المجنون حبيبته.

يبدأ الليلُ منتهاي،
فتتوزع أعضائي
في الضبابْ.
أين يُوجدُ صوتي،
في أي مكان،
إذا كان الجسدُ يتحوَّلُ ليلاً،
ويُسلمُ للمدى
وجودَه،
وتُصبحُ الأنجمُ الخرساءُ،
والعصافيرُ التي يلقيها القمرُ كالبردِ،
علاماتٍ للصمتْ؟
آه، أن عَوْنَ أسم حبيبتي
الذي يسبحُ في الأثيرِ
ويسمحُ لي أن أصلَ إلى حُلْمِها!
إلى شفتيها النائمتينْ
لأسرقَ البعثَ من جديدْ.
والآن تُعلنُ الشمسُ
مانحةً للملحِ دماً،
وللرمالِ قلباً من نارْ.

أبيات يضمخها المجنون بزفراته، يرسل بعدها رسالة إلى ليلى

لا نهرَ يستطيعُ أن يُوقِفَ
القافلةَ المجنَّحةْ،
حيث تذهبُ أسراري
لتستسلمَ للريحِ،
إنني أموتُ عشقاً
ولا أصلُ إلى فَمِهَا.

قصيدة ليلى عندما وصلتها الرسالة وما قالته من كلام

تنام ليلى
محنيةٌ رأسُهَا،
في كلماتِ المجنونِ،
التي تضمها كالبخورْ:
"جلدي مُحْتَرِقٌ،
لكنه يلمعُ،
لأنك تسكنني."
كلُّ شيءٍ يؤكد التوازنْ.
طائرانِ ساكنانِ في النافذةِ،
ينتظرانِ
أن تكتبَ ليلى الجوابْ.
* * *
"الكلماتُ"
اليواقيتُ التي نزعتَها
رسالته من قلبي،
شمعٌ أحمرُ
يختمُ رسالتي.

يبكي المجنون غزالة ميتة

من تكونينَ، من أكون؟
وهكذا أُخبيء موتي
بين الأشجارِ والترابْ.
ومن أخبئها في داخلي، أسَمِّيها،
منادياً الليلَ
الذي يسكُنُها،
- مرآةٌ من النورِ،
للدنيا، الخفي،
الذي تعرفه عيناكِ، اللتان أصابهما العَمَى.-
من تكونينَ، من أكون؟
صدري تابوتٌ،
يحتويكِ،
ونتابعُ معاً،
فيما تحملُ الريحُ الكثبانَ،
في تلك الساعة التي ينامُ فيها
الطائرُ الرماديّْ.

في دخول الليل يرقب المجنون طائراً بقي بعيداً عن عشه

يتنقلُ الطائرُ ليلاً،
بين أفرعِ
أشجارِ الواحةِ الصغيرةْ،
ويسقطُ،
أم انه يُريدُ الرمالَ،
المتحررةَ من أُوارِهَا
لتدخلَ الأحلامْ؟
الصمتُ المطبقُ
الذي تُلقيه القبةُ السماويةُ
على جفونِنا،
فيما الجبالُ،
الديدبانُ البنفسجيّ
تلمعُ

كظلالٍ من عوالمَ خفيهْ.

ظِلٌّ عشقٍ

يضيءُ كهفَ صدري،

ويهربُ عبر عينيَّ

ليسكنَ الأفقْ.

عبر هذا الطريق المغلق،

يسقطُ في الرمالِ

وأنا هنا،

مثلُ ذلك الطائرْ.

عن كيف أن نسيم الليل، رسول العشاق الصامت، يعبر كل الصعاب

ينامُ المجنونُ في سريرِه القَلِقْ،
وشهقةٌ من ليلى
حملها النسيمُ،
تنزعُ زهرةً بريَّةً،
وتزرعها في حدقتيه المُغلقتينِ،
الساكنتينْ.
يا له من شذىً يأخذُ أحلامَه
ويُشعلُ وجهَه؟
وعلى شواطئهِ الداخليةِ، الحادةِ،
يجوسُ همسُ العشقِ الخالدْ.

غزل قالته ليلى

عند سماعها قصيدة جديدة للمجنون

برغم قدومها من الصحراء،

فإنها تحملُ صوتَه، والمياهَ، والكلأ،

والزهورَ على اختلافِ أنواعها،

والطيورَ الملونةَ،

وتحملُ معابدَ بقبابٍ مُذَهَبَةْ،

وقصوراً بأسوارٍ من الزليج

بزخارفَ زرقاءَ،

تمتدُّ حتى آخرِ المَدى.

الفصل العاشر

الارتقاء

تذكر ليلى الشموع التي رأت يوما على ضوئها وجه المجنون، وليلة قمراء مر فيها المجنون بنافذتها

في عتمةِ مخدعي
أشتاقُ ضوءَ الشموعْ.
أُوقدْها، يا قلب!
فيما سكونُ الموت
يغطّي هذا الجسدْ.
كلما أوغلتُ في كهفي الخاصّ
يغيبُ عنّي الضوءُ،
لأنني أستسلمُ لما هو قَدَري في الرحيلْ.
في يومٍ ما، ربما،
ربما تنفَتحُ نافذةٌ
فأرى عتمةَ الخارجِ.
في الأفقْ،

تشعُّ العَوّاءُ[1] بلونِها الأزرقْ.
تكشفُ الثريَّا عن خفتها البشوشةْ،
يشعُّ الدبران[2] بضوئِه المزهرْ،
تكونُ الليلةُ ناصعةْ.

كما تلك الليلةِ التي أمضاها المجنونُ
تحت الشرفةِ،
مراقباً ضوءَ نافذتي.

[1] العوّاء راعي الشتاء/ كوكبة في نصف الكرة السماوية الشمالي وأسطع نجومها "السماك الرامح". وهي عند العرب مؤنثة.
[2] ـ نجم في السماء.

هنا يتكلم الشاعر عن كيف أن صديق المجنون يخبره بموت إبن سلام والقافلة التي خرجت فيها ليلى

عندما تُزهرُ نجمةُ البشاشةِ
في وجهِ المجنونِ المُعْتَمْ،
عند سماعهِ النبأَ من شفتيٍّ زيدٍ،
كانت ليلى تَمتَطي جملاً
وتبدأُ راحلةً إليهْ.
المسافةُ ليست مرة،
فالأملُ معقودٌ على الزمنْ،
حميميةٌ هي الرمالُ
التي تمنحها
قوةً من السرابْ،
حلوٌ طعمُ ملحِ الصحراءِ
الذي يغذِّيها
عَبْرَ الكثبانْ.

من ليلى إلى صوت مضيء سمعته في أحلامها

مَن الملاكُ
الذي يُحْيِيني في ساعةِ السحر؟
الصَوتُ الأزرق
الذي ينسكبُ في عروقي،
يفتحُ أبوابَ الحياةْ،
والجنةِ،
إنه ليسَ إلا الحياةْ،
ليسَ إلا
الروضةَ الخبيئةْ
للحياةْ؟
مَنْ ذلكَ
الذِي غناؤُه،
يكثِفُ الدنيا
في طيرانِهِ،
وبخفةِ الأجنحةِ
يعلنُ
عُرْيَ الحواسِ الكاملِ،
الانسيابِ الصافي
لنبعِ العشَقْ؟

الفصل الحادي عشر

الإتحاد

يتأمل الشاعر ما وقع من أحداث حتى هذه اللحظة

ليس سراباً ذلك الجمالُ
الذي يحفظُ الحبَّ في الصحراءْ.
لو انطلقتِ العيونُ في الفلاةِ،
في أعماقِ الروحِ الساكنةِ،
كمواضعٍ بهيجةٍ من الأخضرْ،
تنتشرُ
غازيةً الجسدَ كلَّه،
وتفتحُ النبعَ الصافي
حيث يشربُ الغيابْ،
فيتحولُ اللامكان المطلقُ
إلى فعلْ.

غزل ليلى حين تصل إلى مكان المجنون

عشقي المجنونُ يهربُ،
يهمُّ إليكَ
كعاصفةٍ من رمالْ.
كالأمطارِ الموسميةِ
يملأُ، عشقيَ المجنونْ،
الصحراءَ أنهاراً،
عشقي المجنون ينفذُ
في الأرضِ الخرابِ،
يبذرُ فيها الزهرةَ
التي تحيا لحظةً خاطفةْ.
اقطفها يا مجنونْ،
إنها اللحظةُ
التي نَحَارُ فيها
إلى الأبدْ.

كلمات المجنون

إبتعدي، أيتها المحبوبةُ،

لا تبعدي

الصورةَ التي أحفظُها لكِ

من كل العواصفِ،

لتنمو في داخلي،

وبها نكون الواحدْ.

فَلْتُصَبْ عيونُ الجسدِ بالعَمَىْ،

وليخصِّبُ المطرُ الروحَ،

والمياهَ الصافيةْ.

قصيدة الكشف

لو انني أسكنكِ
لا قيمةَ لجسدِي.
خُذي لشفتيكِ
زهرةً يانعةً
تنبتُ في شفتي،
وضمِّي إليها نارهما،
ولتضلُ
فتخطيءُ رمادي
باللاشيءْ.

ليلى، حين تشعر بقرب نهايتها،

ترى نظرة المجنون الأولى أمام عينيها

نظرَ إليَّ

فامتلأ قلبي

بالنجومْ،

وارتفعَ المدى

على نارٍ من دمٍ،

وفي أعلي ذوائبِ الليلِ

رفعَ القمرُ عُشَّ البرقْ.

دائرياً كان مدارُ العشق،

وكانت الشمسُ، الخفيةُ،

تكشفُ عن توهُّجها الأبديّْ.

في لحظاتها الأخيرة تعترف ليلى بأن الحب محراب للعالم الآخر

أنتِ أيتُها الجنةُ–القلبْ
الرمانةُ الساكنةُ،
الحجرُ المشتعلُ،
إلى بوابةِ البرقْ
تقودني.
هالةٌ من التوافق
تنحني في البابْ.
في نعومتها،
الذهبُ والأشعةُ السبعةُ
تأخذني في دوّاماتها.
تُشعلُ النارَ الخفيةَ
طاويةً الظلالَ،
وأدخلُ
كطائر
في الأبيضِ اللانهائيّْ.

تأمل الشاعر

تمتدُّ مرحلةٌ

-نحو ما لا يمكن الإمساكَ به-

تحدِّدُ النورَ،

بحروفٍ متألقةٍ،

تحفرُ في القلبِ ظلاً

لكائنٍ خَفِيّْ.

قبل أن يقضي نحبه على قبر محبوبته، يقول المجنون هذه القصيدة الأخيرة

ترابٌ في الترابِ هي ليلى،
وفي اللاشيءِ يضيعُ بهاؤها.
أن أكونَ لاشيءَ في اللاشيءْ
هو مرادِي.
فطريقُ الموتِ
يُوَحِّدنا في العوالمِ الخفيةْ.

الفصل الثاني عشر

نهاية الكلمة

.. وعرف قلب العاشق فجرها

هناك بقي المجنونُ،

محروسا برعيته من الوحوشِ،

إلى أن تحول عظاماً،

وبعدها كان تراباً.

وتحول إلى شيء،

اتحدَ. بالترابِ الذي كانته ليلى.

وانفجرت الأرضُ

حجراً من نارْ،

وتفرقت

الوحوشُ

لتحكي

تلك الأعجوبةْ.

يضع الشاعر نقطة النهاية لما هو مكتوب

أنا، من حجيجِ العشق،
أريد أن أقبِّلَ شاهدَ قبرِهِ،
وأمتلِيءَ بالقبلة،
من العلمِ الذي اختلسه
الزمنُ من أيامي.
أريدُ أن أقبِّلَ لوحةً
في قربانِ الهواء،
أنا، المحاطُ
بتلك الوحوشِ
التي هِي الكلماتْ،
أعيشُ في عزلةٍ،
وفي صحراء من الجليدْ،
منتظراً زاداً وحيداً:
الماءُ الصافي
لصوتِ سيدِ الملائكةِ،
زادي.

نهاية

والآن أُقَبِّلُ الكتابَ
الذي أُنهيه هنا،
فالصفحةُ أيضاً،
تضمُّ العشقَ،
وفي الصفحةِ
أحبِسُ نفسي فيها،
وألتفُّ بها، كفناً،
أكتسي به،
لأتقدمَ
بعدها
باتجاهِ الصمتْ.

تنامُ ليلى
محنيةً رأسها،
في كلماتِ المجنون،
التي تضمُها كالبخور:
"جلدي محترقٌ،
لكنه يلمع"

الفهرس

الصفحة

من إصدارات "دار سنابل "

- **أن تعيش لتحكي**

السيرة الذاتية

جابرييل جارثيا ماركيز

ترجمة: د.طلعت شاهين

- **القرمية**

رواية

تأليف: سميحة خريس

- **طلسمات مصرية**

محمد حسين يونس

- **رصيف يصلح لقضاء الليل**

شعر

سامي الغباشي

- **حكاية أيرانديرا البرئية**

تأليف: جابرييل جارثيا ماركيز

ترجمة: د.طلعت شاهين

- **بين انكسار الحلم والأمل**

شعر

سيد جودة

- **نضارة شمس**

شعر

عطية حسن

- **جماليات الرفض في مسرح أمريكا اللاتينية**

دراسة

د.طلعت شاهين

- **من حلاوة الروح**

رواية

صفاء عبدالمنعم

- **قطرات الماء**

تأليف: ميدورروما شون

ترجمة: د. أحمد فتحي

- **كتاب العشق والدم**

شعر بالعربية والأسبانية

طلعت شاهين

- **لحظات صالحة للقتل**

مجموعة قصصية

محمود الغيطاني

- **فنون المنوعات والتليفزيون**

تأليف: دوعيدار الطاهر

- **المطر الأصفر**

"روايـــــــة"

تأليف: خوليو ياماناريس

ترجمة وتقديم: الدكتور طلعت شاهين

- **مملكة الجوارح**

رواية

د.زينب أبو سنة

- **إلا.. تعال**

شعر

سهير الداوود

- **الأنـــــا الآخـــــر**

قصص من أمريكا اللاتينية

ترجمها عن الإسبانية: د. طلعت شاهين

- **الطـائر الأزرق**
  قصص من أمريكا اللاتينية
  ترجمة وتقديم: الدكتور طلعت شاهين
- **أبيض النـاب**
  روايـة
  تأليف: جاك لـنـدن
  ترجمة :عبد الهـادي الإدريسي
- **ليالى القصف السعيدة**
  نصوص وقصص
  محسن الرملي
- **ليلة شهر زاد الأخيرة**
  شعر
  مقداد رحيم
- **السكسفون المجنح**
  شعر
  سامي العامري
- **رجـل عـدن**
  والسيدة ذات العيون الزرقاء
  رواية
  تأليف: كلارا خانـيس
  ترجمة وتقديم: د.طلعت شاهين
- **ثلاثـاءات عابر سبيل**
  شعر
  السمّاح عبدالله
- **شخابيط**
  شعر
  نبيل خلف

- **ذكريات**

رواية

تأليف: جابرييل جارثيا ماركيز

ترجمة: د.طلعت شاهين

- **طائـــِــرُ الشّـــــوك**

شعر

د. زينب أبو سِن

- **في الليـــل لما خِلـــى**

روايـــــة

صفاء عبد المنعم

- **كائن العزلة**

رواية

محمود الغيطاني

- **المرأة المصرية في ميزان التنمية**

(رؤى الواقع والقانون)

تأليف: تامر محمود راجي

- **منمنمات على جدار العلاقة**

شعر

محمد مغربى مكى